

أوسمة الجراح

قصة الجريح
إبراهيم أبو دية

أمرأه النصارى والنصارى

جمعية الممارق الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION



الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org



أوسمة الجراح

قصة الجريح
إبراهيم أبو دية

مكتبة حكايا فلسطين

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية



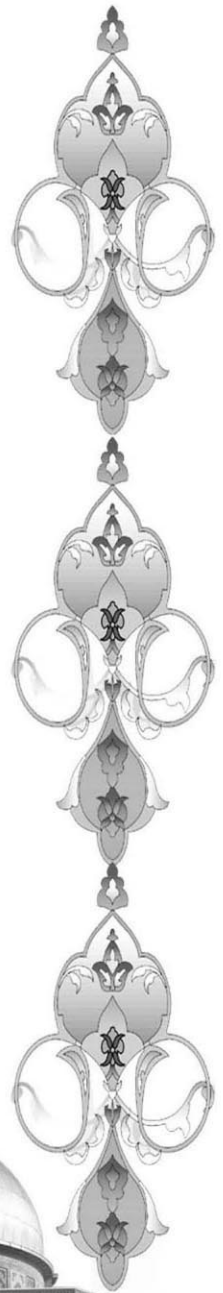


الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . العمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ - ص.ب. ٢٤/٥٣ - ٢٥/٣٢٧

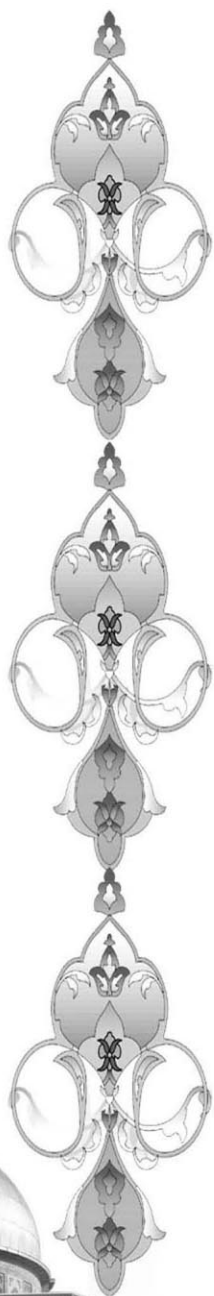




- القصة: أوسمة الجراح.
- الكاتب: سعيد أبو نعه.
- الدرجة: نالت قصة الجريح إبراهيم أبو دية جائزة في مسابقة «أجمل قصة جريح» التي نظمتها الوحدة الثقافية المركزية في حزب الله.
- الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- الطبعة: الأولى - ٢٠٠١م.

«من جُرِّه في سبيل الله جاء
يوم القيامة ريح كريح المسك
ولونه كلون الزعفران عليه
طابع الشهداء».

الرسول الأكرم ﷺ



الإهداء

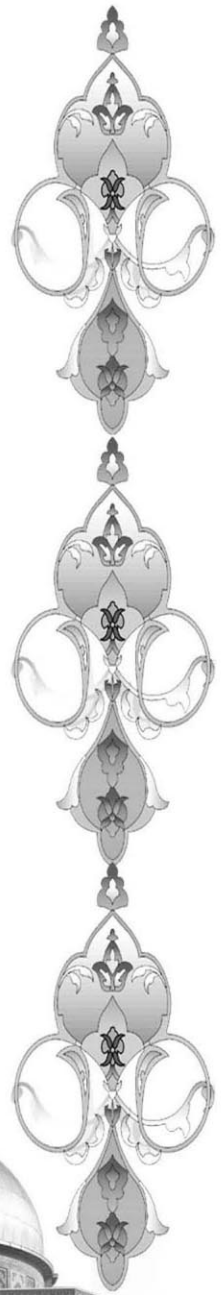
إلى من ينتظر...

حين الجرح النازف ينبض في الأمة،
نغدو أشقاء، وحين الكلمة
تتشكل سلاحاً، يصبح كتمانها
خيانة وحين تفارح العين المذرى،
ينتصر الدم على السيف ويشف
المستقبل عن نصر مبين وعلى
جبينه شعار واحد فقط:
ضدوا فوجدنا ونضدي فييفون.
سعيد أبو نعسه



- مات.. لكنّه لم يمِت!
- أرجوك يا عم، فلا وقت
عندي أضيّعه في حلّ الألغاز،
وتفتيق الأحاجي. إنّما جئتُك
طمعاً في الإجابة عن سؤال
واضح محدّد: لماذا طُرِدْتُ من
الخدمة العسكرية؟

- غريبٌ أمركم أيّها
الصحافيون! تسعون سَعْيَ
السّباع الجائعة، وتطوفون
الفيافي والقفار بصبر أيوبيّ
بحثاً عن مادة إخبارية
شائقة، أو قضية بشرية



شائكة تلوكون حولها
الأسنة، وتهرقون حبرها على
صفحات الجرائد؛ ثم عندما
تُحَكِّمون الطوق حول عُنُقِ
الطريدة تقررعون سَمْعَهَا
بجملتكم المتسرّعة: "لا وقت
عندي أضيّعه". أنتم باختصار
تساقون التاريخ، وتطبخون
القضيّة في طنجرة الضغط
البخارية. سأروي قصة طردي
من الخدمة العسكرية، بتأنٍ
على هذا السرير بالذات، وفي
هذا المستشفى البيروتي

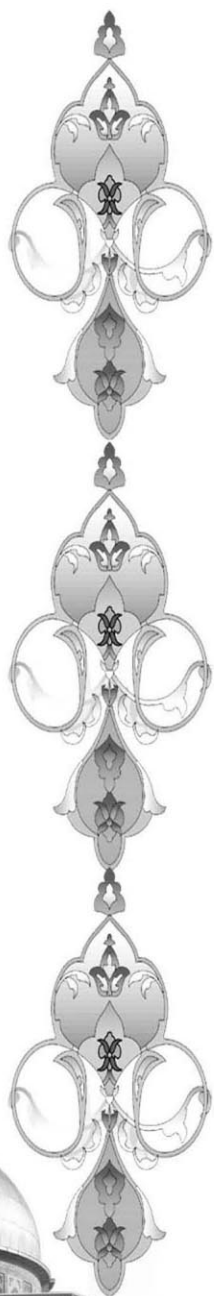


المطلّ على جهة البحر، رقد
إبراهيم أبو دية.

ولسوف نتساءل قطعاً: من
يكون هذا الرجل، وما علاقته
بسؤالك الواضح والمحدد؟

- إن سألتك عن شيء
بعدها لا تسامحني. تفضّل
أكمل سرد قصتك.

- ليتك سعت مثلي
بالتعرف الى إبراهيم أبو دية،
أيها الصحافي النهم. لقد
لازمته كظله، وقُمتُ على
خدمته متطوعاً، وكنت



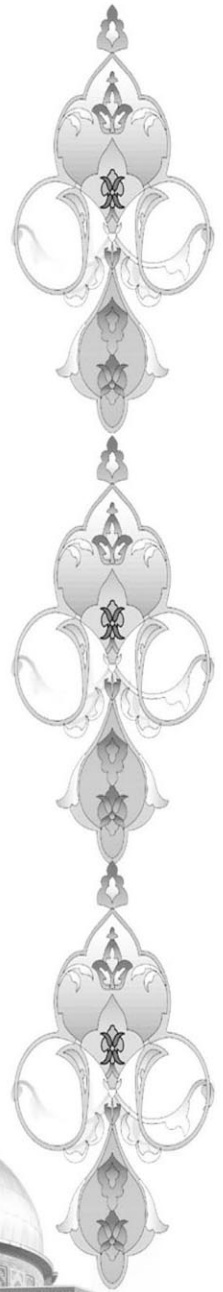
سَنَدَهُ الْوَحِيدَ يَوْمَ عَزَّ السَّنَدُ،
وَلَا أُرِيدُكَ أَنْ تَفْهَمَ مِنْ كَلَامِي
أَنْنِي أَنْصَبُ نَفْسِي بَطْلًا
قَوْمِيًّا، فَالزَّعَمَاءُ فِي أُمَّتِنَا
حَسَبَ آخِرِ إِحْصَائِيَةِ لِلْأَمَمِ
الْمُتَّحِدَةِ، يَفُوقُونَ الرَّبْعَ مِلْيَارَ مِنْ
الْبَشَرِ.

إِنَّهُ مِنْ لَطِيفِ تَقْدِيرِ الْبَارِي
عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُولَدَ إِبْرَاهِيمُ فِي
الْعَامِ الَّذِي انْدَلَعَتْ فِيهِ ثَوْرَةُ
سَعْدِ زَغَلُولٍ فِي مِصْرَ ١٩١٩.
فَكَ الْحَرْفَ فِي قَرْيَتِهِ "صُورِيْف"
مِنْ لُؤَاءِ الْخَلِيلِ، وَشَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ



ذلك في ثانوية الخليل؛ هادىء
النفس، بعيد النظر، ممتلىء
الجسم، عريض الجبهة، ينبض
وجهه بالتحدي والعناد
والرجولة. واكْبَ تَواطُؤُ القوات
البريطانية مع اليهود، فهب
مع رفاقه اليافعين لينضم الى
قوات الجهاد المقدس ولما يبلغ
يومها خمسة عشر عاماً.

- شارك بفاعلية في الثورة
الفلسطينية الكبرى عام
١٩٣٦ الى جانب رفيق دربه
عبد القادر الحسيني



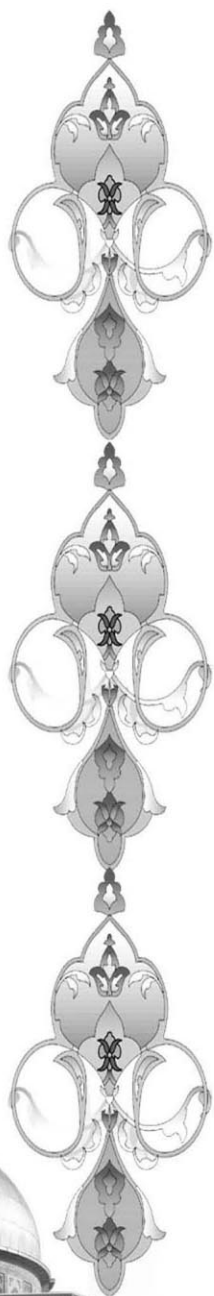
وخاض معارك بطولية نمت
عن ذكاء في القيادة، وشجاعة
في النّزال، وبراعة في رسم
الخطط واستشراف المستقبل.
رافق أبا موسى - يعني عبد
القادر الحسيني - الى مصر
فَجَمَعَ الاسلحة، ونَقَلَهَا الى
فلسطين، ووزعها على
المجاهدين. شارك في المعارك
المفصلية جميعها مكبّداً
اليهود مئات القتلى والجرحى.
حتى أن الوكالة اليهودية
رصدت مكافأةً مُجْزِيةً لمن



يأتيها برأسه: وزنٌ حاملِ الرأسِ
ذهباً.

وبلا طول سيرة.. اقرأ هذه
اللوحة المعلقة فوق سريره.
- لا نامت أعين الجبناء.

- تماماً...! لقد ظفر إبراهيم
بأوسمة بطولية لم يُعَلِّقها
على صدره رئيس^{٢٥}، أو وزير^{٢٥} بل
زرعها الأعداء في جسده،
رصاصا وشظايا، حتى أنه
مازحني يوماً قائلاً: أنا الرجل
الوحيد في العالم الذي يقبل
الاجذاب الى المغناطيس.



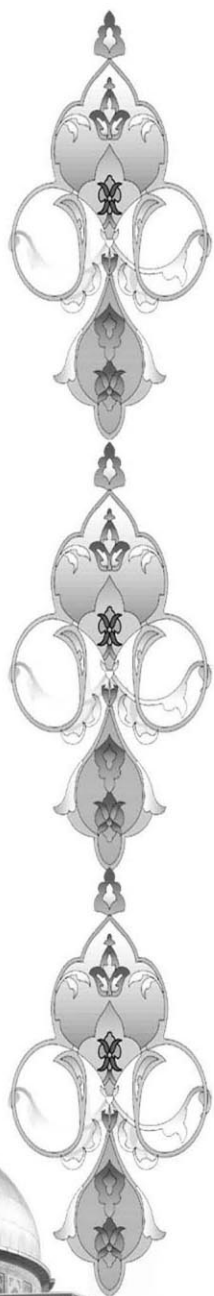
كنت أسامره ذات يوم، وعلى
حين غرّة صمت فجأة، إفساحاً
في المجال لسماع الأذان، وقد
ترقرقت على وجنتيه عبرات
خاشعة، ثم أردف يسألني: -
هل تعرف من هو مثلي الأعلى؟
قلت: - العظماء كُثُر، فمن
أين لي أن أعرف؟

قال: كرّار خبير، الذي لا يشق
له غبار. وحينما كان الموقف
يتأزم وتبلغ القلوب الحناجر، إذ
يحيط بنا الأعداء المتفوقون
علينا عَدَدًا وَعُدَدًا، لم يكن



يخطر ببالي سوى مشهد
اقتحام أسوار خيبر... عليك
السلام يا أبا الحسن، فكنت
أرفع «الكنديّة» صارخاً: الله
أكبر! ثم أنقضُّ ورجالي على
الأعداء، فنفتك بهم ونكسر
الحصار.

وهذا ما حدث بالضبط في
١٩٤٨/٤/٧ يوم «القسطل»
عندما اختارني أبو موسى -
رحمة الله عليه - لقيادة
فصيلين في قلب الهجوم،
وتمكّنا بشجاعة رفاقنا

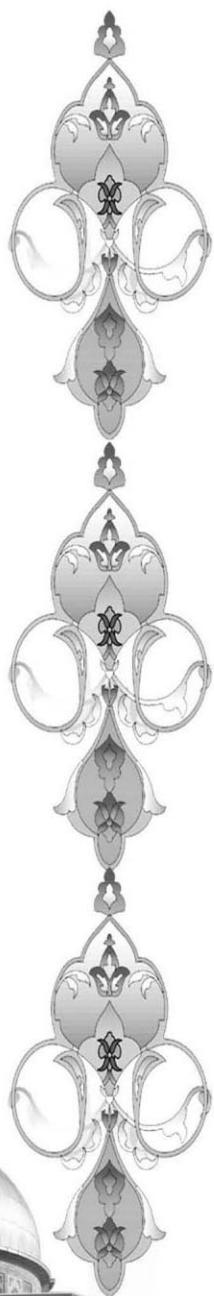


الأشواش واستبسألهم من
دحر الأعداء واسترجاع القرية
الاستراتيجية. لكنّ فرحتنا لم
تتم، يا أخي، لأنّ المعركة أخلت
عن استشهاد عبد القادر. حقاً
انه مات... لكنّه لم يمِت!
يومها أضفْتُ الى جراحي
الكثيرة جرحاً بليغاً، وأوسمة
إضافية.

وما فتئتُ أردّد هذه العبارة:
- "لا نامت أعين الجبناء".
- "وين صرنا يا صاحبي؟".
- لست أدري ولكنك حتى



الآن لم تجب عن سؤالي: لماذا
طُرِدْتَ من الخدمة العسكرية؟
- لا تتعجل يا بني، فإسوف
يأتيك الجواب.....
تَنَحَّنتُ أمام إبراهيم يوماً،
فعرف أنني متردد في طرح
سؤال عليه فقال:
- لعلك تود السؤال عن
معركة "القطمون"؟
- قلت: نعم! (والحق أقول لك
أيها الصحافي النهم، أنني
كنت أبيت سؤالاً آخر غير
هذا السؤال).

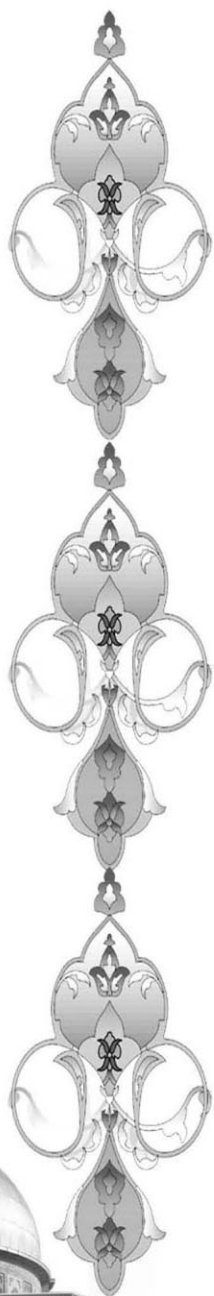


اعتدل إبراهيمُ في جلسته،
وابتسم ابتسامة عريضة
كَمَنْ يَسْتَرْجِعُ ذَكَرِيَّاتٍ جَمِيلَةٍ
مفرحة ثم قال بعد البسلامة:
- حَيُّ "الْقَطْمُون" مِنْ
أَجْمَلِ أَحْيَاءِ الْقُدُسِ وَأَنْقِهَا؛
بيوت حجرية قُدَّتْ حِجَارَتُهَا
مِنْ صَخَرٍ أَصَمٍّ عَصِيٍّ، عَبَّ
مِنْ دِمَاءِ الْغَزَاةِ الطَّامِعِينَ؛
تُحِيطُ بِهَذِهِ الْقُصُورِ الْجَمِيلَةِ
حَدَائِقُ غَنَاءٍ تَشِي بِالرِّخَاءِ
وَالسَّعَةِ. وَقَدْ اتَّخَذَتْ
الْقُنْصَلِيَّاتُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ بَعْضِ



دور هذا الحي مقرأً لها. هي
منطقة مهمة عسكرياً،
تخترقها سكة الحديد، ويشرف
المهيمن عليها على أحياء
القدس العربية:

البقعة الفوقا، والبقعة
التحتا، وكولونية اليونان،
وكولونية الألمان، وحي
الطالبة. وليس بين القطمون
والمستعمرة اليهودية المقابلة
سوى تلٍ قليل الارتفاع. وكان
أبو موسى قد أوكل إليّ قبل
استشهاده أمر الإشراف



على هذا الحي، والدفاع عنه
في وجه العصابات الغازية
قائلاً:

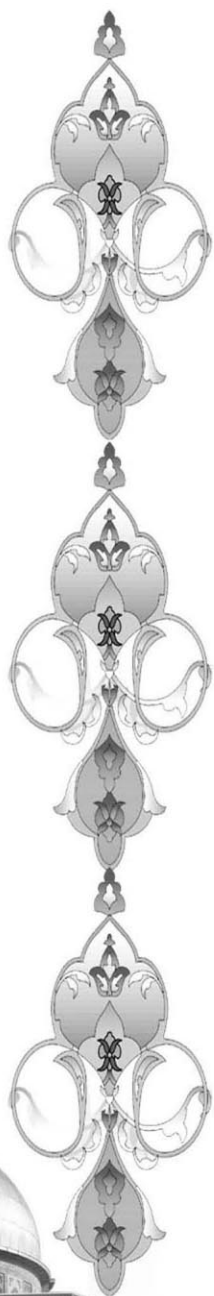
مسيرُ القدس مرهونٌ بهذا
الحي يا إبراهيم.

وطار صواب اليهود عندما
علموا بأنني قائدُ المنطقة،
فشنّوا هجوماً عنيفاً ثقیل
السلاح، كأرجال الجراد،
فصمدنا لهم، وأثخنّا فيهم
الجراح رغم قلة رجالنا وبساطة
أسلحتنا؛ ثلاثة أيام بلياليها
رأوا فيها العجب، وظلّوا



يحاولون اقتحام القطمون
ثلاثة أشهر متتالية، والصمود
شعار القلّة المؤمنة. حتى
جهّزوا ألفي مقاتل بما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
ببالٍ من أنواع الأسلحة.

ولم نتخذ قرار الانسحاب
الى "بيت لحم" إلا بعد أن
نفدت الذخائر واستشهد
العدد الأكبر منّا. وهذه هي
الجراح التي زيّنت جسدي
(وكشف لي عن صدره
وأطرافه).



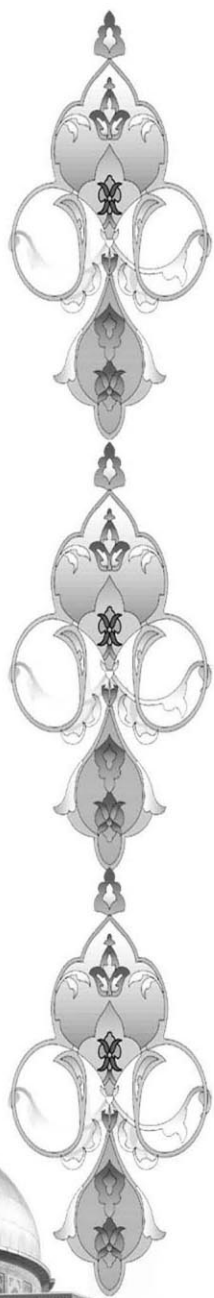
قلت: رحم الله الشهداء
 وحمداً لله على جناحك. لكنّ
 السؤال الذي أضمرته يدور
 حول الشلل الذي ألزمك
 الفراش طيلة هذه السنوات
 الأربع في مستشفى بيروت.
 فتنهّد صاحبي وزفر زفرة
 عميقة أخرجت ما يعتمل في
 صدره من أسى بالغ.
 ثم قال:

- كان ذلك في ١٧/٥/١٩٤٨
 ذكرى مرور أربعين يوماً على
 استشهاد عبد القادر في



«القسطل» وكنت أخوض
مع رجالي معركة حامية
الوطيس في «رامات راحيل»
وانا لم أعتد الاختباء خلف
الصخور أو إطلاق النار من
خلف المتاريس. وهذا ما كان
يرعبهم ويلعثم تصويبهم.
لكن جباناً فاجأني من الخلف،
ودرز ظهري بست عشرة
رصاصة، كانت كافية لإصابتي
بالشلل الدائم.

لقد طلبتُ الشهادة يا أبا
علي، فَوُهِّبْتُ لشعبي



الحياة وخُفَّتْ مُعَاقاً منبوءاً
بين حيطان أربعة.

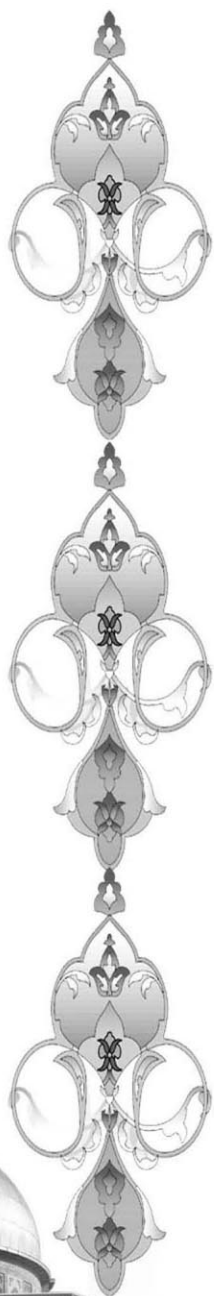
وراح إبراهيم يعتصر رأسه
من الألم، فذرفت لحاله دمعتين،
وأنا أرى الممرضة تُسَكِّنُ آلامَهُ
بإبرة مورفين. فانتهزها مناسبةً
لتغيير قتامة الجو التراجيدي
الكئيب باسمًا:

- وفي فلسطين كنت أُشَبِّهُ
جسدي بالغربال، وبعد أن
نُقِلْتُ إلى بيروت للعلاج فإنني
أُشَبِّهُه بالمنخل، قاتلَ اللهُ إِبْر
المورفين.



سَايَرْتُ إِبْرَاهِيمَ بِإِتْسَامَةِ
مِصْطَنَعَةٍ بَيْنَمَا رَاحَ يَتَابَعُ
قَائِلًا:

- شَرُّ الْبَلِيَّةِ مَا يَضْحَكُ يَا أَبَا
عَلِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّنِي أَحْتَاجُ
يَوْمِيًّا إِلَى خَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِيرَةً
لِبَنَانِيَّةٍ عَدًّا وَنَقْدًا ثَمَنًا
لِلْمُورَفِينَ اللَّعِينِ؟ وَمَنِ الْمَضْحَكُ
أَنْ مَشَاوِرَاتٍ عَرَبِيَّةٍ حَثِيثَةٍ دَامَتْ
أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ، وَعَلَى أَعْلَى
الْمُسْتَوِيَّاتِ لِتَخْصِيصِ رَاتِبِ
شَهْرِي يَعِينَنِي عَلَى نَفَقَاتِ
الْعِلَاجِ؟



قلت: - إْحْمِدُ رَبَّكَ! إنهم لم
يعقدوا مؤتمر قمة لهذا
الغرض، ولو فعلوا لَكُنْتُ فُزْتُ
منه بخُفِّي حُنين.

- فعلاً.. معك حق يا أبا
علي، فلقد فُزْتُ بهذين الخُفَّينِ،
لأن الأمر تقرر بالأمس فقط.
وأنا اليوم أشعرُ باقتراب موعد
الرحيل، فالألم يزداد والحرارة
ترتفع.

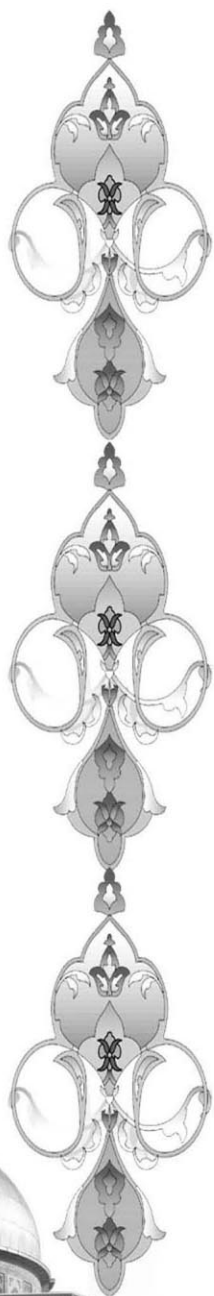
يبدو أن رب العزة يريد لي
ميتة شريفة بعيدة عن
أعطيات المحسنين.



ثم نظر الى اللوحة المعلقة
فوق سريره متحسراً، ونطق
بالشهادتين قبل أن يدخل في
غيبوبة، خَلَّتْ أنه لن ينجو
منها.

طبقَ الخبرُ الآفاقَ، وهبَّت
الجموعُ الحُبَّةَ الى المستشفى
من كل حدب وصوب ومن كل
طائفة ولون، تنتظر ما سيحل
بإبراهيم الجريح.

لكنه أفاق من غيبوبته
للحظات في غرفة العناية
الفائقة، وكانت أول كلمة



ينطق بها وهو بين الصحو
والنوم: أبو علي!

أمرني الطبيب المشرف،
لبس ثياب معقمة بيضاء،
وقبل أن أهتمّ بالدخول، جاءت
طفلة صغيرة ومعها باقة من
الزهر الأحمر يقال له: الشقيق
(الحنّون)، وأصّرت على الدخول
برفقتي. فحاول الطبيب
منعها، لكن إبراهيم طلب
السماح لها.

قالت له ببراءة:

هذا الحنّون من هناك... من

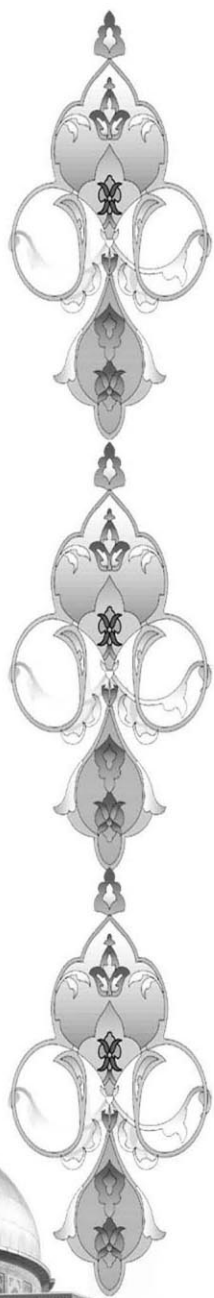


هناك (وأشارت بيدها الصغيرة
نحو الجنوب).

فأغرورقت عيناه وهو يدفن
رأسها في صدره. ثم تسلّم
الزهور منها، وطرح عليها هذا
السؤال:

هل تحفظين نشيد: موطني؟
قالت نعم! وراحت تنشده
على مسامعنا بلثغة
محبّة، والدموع تنساب على
الوجنات.

ثم توجّه إليّ إبراهيم
قائلاً:



لماذا قمّطوك بهذا الثوب
الأبيض؟ إنك تبدو كالمومياء
تماماً!

أتعرف؟ لقد أرعبتني بما فيه
الكفاية. ولا أظنني سأصعق
لرؤية ملك الموت عندما
تسقط ورقتي الأخيرة.

ساعتها، ضحكت الطفلة
قائلة: لم أفهم شيئاً مما قلت
يا عمّي.

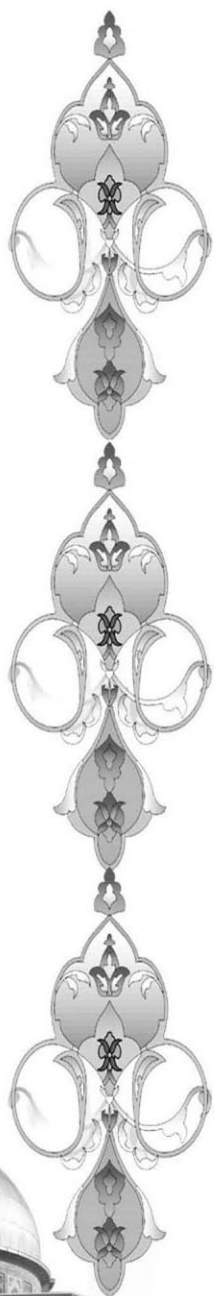
فقرّبها إبراهيم ليطلع على
جبينها قبله أبوية. ودسّ في
يدها قطعة من طين متحجّر



تفوح منها رائحة المسك وهو
يقول باسماء:

- "لن أجد من هو أولى منك
كي أُسَلِّمَهُ الراية: - كمشة
من طين القدس، هي كل ما
استطعت حمَلُهُ من فلسطين
كذكرى. احتفظي بها يا ابنتي.
فالطين سلاح... الطين سلاح.
ثم طلب إبراهيم حَمَلَهُ الى
النافذة لتوجيه التحيّة الى
الجموع المحتشدة.

فحملناه إليها وراح يهزُّ
كَفِّهِ الى الأعلى راسماً



شارة النصر، والحشود تصيح
 بصوت واحد: الله أكبر!!
 عندما علّق إبراهيم قائلًا: -
 هل تعلمون بأنني أول رجل في
 التاريخ يشاهد جنازته؟!
 ثم أغمض جفنيه، بينما
 راحت سبّابته اليمنى تعلن
 الشهادتين... ثم ابتسم.
 هل تصدق أيها الصحفي
 أن وفاة إبراهيم الجريح قد
 تزامنت مع قيام الضباط
 الأحرار في مصر بثورة ٢٣ يوليو
 ١٩٥٢؟ وهكذا يكون المرحوم



قد عاش من السنين ثلاثاً
وثلاثين، عدد حَبّات السبحة
هذه.

فهل عرفت الآن لماذا طُرِدْتُ
من الخدمة العسكرية؟
- ربما أَسْتَنْتِجُ الجوابَ لاحقاً،
لكنَّ الأمرَ الثابت لدي، أنني
حللتُ اللغزَ وعرفتُ كيف مات
صاحبك..... ولكنه لم يمِ.

سعيد أبو نعسة

